شاعر عربی معاصر معروف عبدالغنی الرصافی

چکیده:

دکتر محمود شکیب انصاری

معروف الرصافي شاعر معاصر عراق درسال ۱۸۷٤ ميلادي در بغداد زاده شد، ودرسال ۱۹٤٥ درگذشت .

در مقدمهٔ اين مقاله زندگي علمي واجتماعي وادبي شاعر بطور فشرده بررسي مي‌شود.سپس به ((تعهد)) والتزام وي در برابر اعتقادات ديني اسلام پرداخته مي‌شود، وپس از آن به ((تعهد)) سياسي وموضعگيريهاي وي در برابر دولت عثماني واشغالگران انگليسي وحكومت ملي اشاره مي‌گردد. وسرانجام ((تعهد)) اجتماعي وانساني شاعر نسبت به مردمش بويژه قشرهاي محروم و گرفتار جامعهٔ مطرح مي‌شود. مرجع اصلي اين بررسي‌ها شعر عربي خود الرصافي وآنچه ديگران درباره وي نقل كردند بوده است. شاعر در تمام موضعگيرهاي فكري وسياسي واجتماعي ((تعهد)) اسلامي وانساني خود را به اثبات رساند.

وباصراحت وصداقت وشجاعت بي‌نظير ديدگاهها خود را بيان مي‌داشت.

کلید واژه: رصافي،تعهد،سياست،ادبيات،زن.

www.SID.ir

الالتزام
فی شعر معروف عبد الغنی الرصافی
الشاعر العربی المعاصر

الدکتور محمود شکیب انصاری*

الملخَّص :

معروف عبد الغنی الرصافی شاعر عربی معاصر، ولد فی بغداد عام ١٨٧٦ میلادي وتوفی فیها عام ١٩٤٥ میلادی. درس العلوم العربیة والاسلامیة فی المدارس الدینیة ببغداد.

وکان شاعراً مغلقاً ، عایش الحیاة الفکریة والاجتماعیة والسیاسیة فکان له دور بارز وفعَّال ، فی الساحة الادبیة والثقافیة.وجاء شعره ملتزماً دینیاً واجتماعیاً وسیاسیاً.

هذا المقال سیبحث الالتزام الدینی والاجتماعی والسیاسی فی شعر الرصافی مستنیراً بما نظمه الشاعر وما قاله الاخرون عنه.

الکلمات الرئیسیة : الرصافی ، الالتزام ، المجتمع ، السیاسة ، المرأة

المقدمة

" نبذة عن حیاة الشاعر"

بدأ الرصافی تعلمة القراءة والکتابة فی کتاتیب بغداد، وتلقي دروسه الابتدائیة

---

*استاد مشارک ، جامعه الشهید چمران ، اهواز

www.SID.ir

Archive of SID

فی مدرسة الرشـــدیة ، ثم التحق بمدرسة منیره خاتون، فتتلمـذ علـي الاستاذ محمود شکري الآلوسی، والاستاذ عبدالوهـاب النـائب زهـاء عشـر سنوات ، و اشتغل بالتعلیم ، فدرس فی مدرسـة الاعـداد العسـکری ، فـی عهد الوالی العثمانی نامق باشا ، حتي أعلـن الدسـتور عـام ۱۹۰۸، فرحـل الرصافی الي الاستانه وعین معلماً للعربیة فـی المدرسـة الملکیـة هنـاک. وانتخب نائباً عن مدینة المنتفـک بجنـوب العـراق للحضـور فـی مجلـس المبعوثان العثمانی ، وفی عام ۱۹۱۸ انتقل الي الشام ، فعیـن اسـتاذاً لـلادب العربی فی دارالمعلمین بالقدس، فأقام فترة هناک ، عاد بعد ذلک الي بغداد ، وعین نائباً لرئیس لجنة الترجمة والتعریب، وفی عام ۱۹۲۳ اصدر جریـدة الامل الیومیة ، ثم عین مفتشاً فی وزارة المعـارف العراقیـة، فمدرسـاً للغـة العربیة وآدابها بدار المعلمین العالیة ببغداد. ثم صـار رئیسـاً ومشـرفاً علـي لجنة الاصلاحات العلمیة . واستقال الرصافی سنة ۱۹۲۸ من تلک المناصب ، وانتخب عضواً فی مجلس النواب خمس مرات خلال ثمانیة اعوام.[۱]

کتب عنه الدلیل العراقی الصـادر عـام ۱۹۶۰: کـان الرصـافی اسـبق شـعراء العراق تأثیراً بما جدَّ من افکـار، واقدرهـم علـي تمثلـها ، یتلـوه الزهـاوی والشبیبـی ... والرصافی تمیز بسعة فی المفردات، وإلهام بالاسالیب العربیـة، وتمرس بها جمیعاً، یلین کما یلین ابو العتاهیة ویقوي کما یقـوي المتنبـی، ویصفو صفاء البحتری، ویغرب أحیاناً اغراب المعری [۲].

وتحدث عنه روفائیل بطی قائلاً : "هـو اول شـاعر جـاء قومـه العـرب بمـا یحبون، و صارحهم بما لایحبون، لم یعرف للتقلید او الخضوع للبیئة معني"،

www.SID.ir

Archive of SID

لافی صناعتهٔ، ولافی افکاره. کانت فی شعره صیحات عملت علي تقویض معالم الاستبداد" [٣].

آثار الرصافی العلمیهٔ والادبیهٔ:

المجموعهٔ الکاملهٔ لشعره (الدیوان) ، وقد طبع مراراً فی بیروت والقاهرهٔ وبغداد .

دروس فی تاریخ آداب اللغهٔ العربیهٔ – طبع بغداد ، عام ١٩٢٨ میلادی.

الادب الرفیع فی میزان الشعرو قوافیه – طبع بغداد، عام ١٩٥٦ میلادی.

دفع المراق فی لغهٔ العامهٔ من اهل العراق، نشر قسم منه فی مجلهٔ لغهٔ العرب بین سنهٔ ٢٦-١٩٢٨ میلادی المجلد الرابع والخامس والسادس.

کتاب دفع اللهجهٔ، طبع القسطنطنیهٔ،سنهٔ ١٩١٢.

روایهٔ الرؤیا ترجمها عن نامق کمال الکاتب الترکی، طبع بغداد،١٩٠٩.

رسائل التعلیقات ، طبع بغداد، عام ١٩٤٤، والکتاب نقد لکتاب النثر الفنی و کتاب التصوف الاسلامی، وکلاهما من تألیف الدکتور زکی مبارک.

علي باب سجن ابی العلاء المعری، طبع بغداد ،عام ١٩٤٦ میلادی.

محاضرات فی الادب العربی، طبع بغداد ، عام ١٩٢٠ میلادی.

مجموعهٔ الاناشید المدرسیّهٔ ، طبع بغداد ، عام ١٩٢٠میلادی.

نظرهٔ اجمالیهٔ فی حیاهٔ المتنبی، طبع بغداد، عام ١٩٥٩ میلادی.

نفح الطیب فی الخطابهٔ والخطیب، طبع بغداد عام ١٩٢٣ میلادی.

فی عالم الذباب، رد علي کتاب بهذا العنوان، طبع بغداد عام ١٩٤٤ میلادی.

تمائم التربیهٔ والتعلیم، طبع فی بغداد عام ١٩٤٨ میلادی.

جریدهٔ الامل ، صدرت فی بغداد عام ١٩٢٣ میلادی.

www.SID.ir

Archive of SID

شعر وآراء ابی العلاء المعری، (مخطوط).

خواطر ونوادر، (مخطوط).

الالهٔ والاداهٔ ، (مخطوط).

الشخصیهٔ المحمدیهٔ، (مخطوط).

الرسالهٔ العراقیهٔ، (مخطوط).[٤]

الالتزام الدینی فی شعر الرصافی:

کما ذکرنا آنفاً ان الرصافی کان قد استقي معالم ثقافته واصول تفکیره من العلوم الدینیهٔ التی درسها فی الکتاب والمدارس الدینیهٔ الاخري، ولدي علماء بارزین فی زمانه. علاوه علي ذلک فانه کان یجید اللغهٔ الترکیهٔ ویطالع الکتب المترجمهٔ الي هذه اللغهٔ، مثلما کان یقرأ المجلات العربیهٔ الصادرهٔ آنذاک. ومع انه کان قد تأثر ببعض الاراء والنظریات الغربیهٔ الحدیثهٔ، الا انه کان ملتزماً جداً بالمبادي الإسلامیهٔ، علي یقین راسخ بجدوي العقیدهٔ الدینیهٔ فی صنع الحضارهٔ واقامهٔ العدل والقسط فی المجتمع. فهذه قصیدته ((یقولون فی الاسلام)) یرد فیها علي ادعاءات اعداء الاسلام، والمغرَّر بهم من المسلمین انفهسم من أن الدین الاسلامی کان سبباً فی تخلف المسلمین عن رکب الحضارهٔ والمدنیهٔ، مستدلاً بازدهار الحضارهٔ وتقدم العلوم والاداب خلال العصور الماضیهٔ، عندما کان یحکم الحیاهٔ، وکیف أن الاسلام قد احدث انقلاباً عظیماً فی حیاهٔ العرب، ونقلهم من حیاهٔ بدویهٔ جاهلیهٔ الي حیاهٔ اخري متحضرهٔ ومتقدمهٔ .

یقول الرصافی:

www.SID.ir

Archive of SID

يقولون فى الاسلام ظلماً بـا نـــه ... يصدّ ذويه عن طريـق التقـــدمِ
فان كان ذا حقاً فكيف تقـــدمتْ ... أوائله فـــى عهدهـــا المتقـــدمِ
وان كان ذنبٌ المسلم اليوم جـهلُهَ ... فماذا علي الاسلام من جهل مسلمِ
هل العلمَ فى الاسلام الا فريـضةٌ ... وهل امة سادت بـــغير التـعلمِ
لقد ايقظ الاسلام للمجد والـعلي ... بصائر اقوامٍ عن المجد نـــومِ
وحلتْ له الايام عند قيـــامه ... حَباها وأبدتْ منظَـــر المتبسمِ
فاشرقَ نورَ العلم من حُجُـــراته ... علي وجه عصرٍ بالجهالـــةِ مظلمِ
ودكّ حصونَ الجاهلية بالهـــدي ... وفوض اطنـــابَ الضلال المـخيمِ
وما ترك الاسلامَ للـــــمرءِ ميزةً ... علي مثـــله مِّنْ لادمٍ ينتـــمي
فليس لمثرٍ نقصُهَ حقِ معـــــدمِ ... ولالعربيّ بخسَهَ فضل أعجـــمى
ولافخـــــر للانسانِ الا بسعيه ... ولافضل الا بالتقي والتـــكرمْ

وهكذا نلاحظ أن القصيدة تشبه مقالاً ((يبحث فيه كاتبه قضية عصرية)) مهمة من قضايا المسلمين اليوم، وهى شبهة مخالفة الاسلام للعلم والتطور الصناعى والاقتصادى فى المجتمع، فيرد علي هذه الشبهة بأدلة تاريخية وعقلية دامغة، فالاسلام هو الذى رفع راية العلم والتعليم قروناً عديدة، فازدهر العلم وتطورت الحياة الاجتماعية والاقتصادية فى ظلال مبادئه وعقائده التقدميّة السامية.

وفى قصيدة أنشدها بمناسبة ذكري ميلاد الرسول الكريم محمد (ص)، يبين خلالها اهداف الرسالة المحمدية الراقية. ويتطرق خلالها الي الحالة المؤسفة التى يعيشها المسلمون اليوم من تخلف وتأخر فى جميع المجالات السياسية والاجتماعية، العلمية والثقافية فيقول:

www.SID.ir

Archive of SID

وَّضُحَ الحقَّ واستقام السبيـــــل بعظيم هو النبـى الـــــرسولُ
قام يدعو الي الهـــدي بكتابٍ عربـي قرآنـــهَ تـــرتيـــلُ
طالباً من المـجد غايـــةً قصوي صدَّه عـــــن بلوغها مستحيلُ
أطلق النـــــاسَ من تقاليد جهلٍ كلَّ فـــــردٍ منهَمٌ بها مغلولُ
وشفاهَم بهديـــــــه من ضلالٍ كلَّ فردٍ منهَـــــمٌ بها معلولُ
أنهضَ القـومَ للـــعلاء وكانت فى دنـــي القوم رقدةٌ وخمولُ
تلك فى الدين نهضةٌ هىَ للعقـ.. ..لِ انتباهٌ وللـــهدي تأثيـــلُ
نهضةٌ عالميةٌ فـــــى وغاهـــا من امـــام البعير فرّ الفيـــلُ
غير انا عن نهجها اليـــوم حدنا واستحلنا وكـلُّ حالٍ تحـــولُ
حيث عَدنا وفى النهوض قعودٌ ورجعنا وفـــى الصعودِ نزولُ
واختلفنا فى الدين حتي افتـرقنا فرقاً لايسيغـــُها الـــمعقولُ
حالةٌ ساءت الرسولَ وســـاءتْ كلَّ آيٍ بـــها أتانا الـــرسولُ
لو رآنا والشـــرُ فينا كثيـــرٌ مستفيضٌ والخيرَ نزرٌ قليـــلُ
وثغورَ الـــضلالِ مبتسمـــاتٌ ووجوه الهـــدي عليها مُحولُ
ونقولُ التوحيـــــد قولاً وكلٌ هو للشرك عابـــــدٌ وفعولُ
قال مستنكراً لما نحن فـــــيه ما بـــــهذا قد جاءنى جبريلُ
أيُنَّ دينَ التوحيد منكم، وأيـــن ال أوبَ وحـــــده والقفولُ

فالرصافى يري ان سبب تأخر المسلمين وتخلفهم عن ركب الحضارة هو الجودُ والبعدُ عن الاسلام الحنيف، وهذا قـد أدي الـي القعـود بـدلاً مـن النهوض، والي النزول بدلاً من الصعود. والي الفرقة والتشتت والخصام بدلاً

www.SID.ir

Archive of SID

من الوحدة والاعتصام بحبل الله والوئام ويستنكر الرصافى هذه الحالة علي لسان الرسول الكريم (ص) معلناً:

((ما بهذا قد جاءنى جبريل)).

الالتزام السياسى فى شعر الرصافى:

عايش الرصافى ثلاثة عهود سياسية، هى العهد العثمانى، عهد الاحتلال، ثم العهد الملكى، وخلال هذه العهود الثلاثة التزم الرصافى فى شعره ونثره وخطاباته المبادئ الاسلامية التى تدافع عن كرامة الانسان وتكافح الظلم والتعدى، وتدعو الي العدل والخير والسلام ، فجاء بأدب اسلامى انسانى فريد، قارع فيه ظلم الولاة العثمانيين وتعدى الانتداب البريطانى ، وجور الحكام الوطنيين ، ودافع خلاله عن الشعب المغلوب الي امره ، داعياً اياه الثورة، والتمرد علي غاصبى حقوقه المشروعة.

ففى عهد السلطان عبد الحميد تردت الاوضاع فى دولة الخلافة العثمانية لعوامل سياسة واقتصادية، داخلية وخارجية، فأخذ الرصافى يهاجم الاستبداد وسياسة التعسف التى انتهجها الولاة، ويهيب بأبناء الامة ان يتيقضوا ، ويعوا ماهم فيه، ومالحقهم من ظلم وعذاب، حاملاً لواء الدعوة التحررية ، جاهراً بأعلي صوته بالثورة ضد الظلم والطغيان، متعجلاً الايام لخلاص البلاد من ربقه الذُل والاستعباد، علي أيدى ابنائها الغياري يقول الرصافى فى قصيدة عنوانها ((تنبية النيام)):

أما آن أن يغشَي البلاد سعودُها ... ويذهبُ عن هذي النيام هجودها

متي يتأتَّي فى القلوب انتباهُها ... فينجاب عنها ركينُها وجمودُها

أما أسدٌ يحمى البلاد عضنفرٌ ... فقد عاث فيها بالمظالمِ سيدُها

www.SID.ir

Archive of SID

برئتُ الي الاحـــرار من شرِّ أمـةٍ ... اسيرة حَكام ثقال قيـــــــودَها
سقي الله أرضاً امحلتْ من أمانها ... وقد كان رواد الأمان تـــــرودَها
جري الجورَ منها فى بلاد وسيعةٍ ... فضاقت علي الاحرار ذرعاً حدودها
عجبت لقومٍ يخضعون لـــدولةٍ ... يَسوّ سَهم بالموبقاتِ عميـــــدَها
وأعجبَ من ذا أنَّهم يرهبـــونها ... وأموالُها منهَم ومنهَمُ جنـــــودَها
بنى وطنى مالى أراكُمُ صـــبرتُمَ ... علي نوبِ أعيا الحصاة عديـــدها
أما آدكُـــم الهـــوانِ فانَّـــــهَ ... اذا حملته الراسياتُ يـــــؤدها [٧]

وفى قصائد اخري ((يهاجم الرصافى السلطان العثمانى جهاراً، ويسخر منه سخرية مريرة تطفح بالمرارة والألم، وتضجّ بالاسي والأنين, وهذا الضرب الثائر الصريح من الشعر السياسى الذى عبر فيه الرصافى عن سخطه وثورته ضد الطغيان ، وهو بحق كان بداية لانطلاق الشعر الوطنى السياسى الذى اتسع ونمي مع اوائل القرن العشرين)).[٨]

يقول الرصافى فى قصيدة عنوانها، ((**ايقاظ الرقود**)):

سكنـــــا من جها لتنا بقاعا ... يجوربها المؤمرّ ما استطاعا
فكدنا أن نموت بهـــا ارتياعا ... وهبنا أمـــة هلكت ضياعا

تولّي امرها عبد الحميد

اقول وليس بعضُ القول جدا ... لسلطانٍ تجبّر واستبـــــدا
تعدّي فى الامور وما استعدا ... ألا يا ايها الملك المفـــدي

www.SID.ir

Archive of SID

ومِّنْ لولاه لم نكَ فى الوجود

أنم عن ان تسوس الملک طرفـا اقِمْ ما تشتهي زمراً وعزفـــــا
أطل نكر الرعية خلٍّ عرفـــــا سَم البلد انٌّ مهما شئتَ خسفا
وأرسل ما تشاء الي اللحود

فد تک الناس من ملکٍ مطاعٍ أبنْ ما شئت من طرقِ ابتداع
ولاتخشَ الا له ولاتـــــراعٍ فهل هذي البلاد سوي ضياع
ملكت أو العباد سوي عبيدٍ

تنعِم فى قصورک غيـــر دارٍ أعاش الناسَ ام هَمْ فى بوارِ
فانک لن تطالَبْ باعتـــذار وهبْ ان الممالک فـى دمار
أليس بناء ((يلدز)) بالمشيد [٩]

وظهرت جميعة الاتحاد والترقى داعية الي الاصلاح والحكومة الدستورية فى البلاد العثمانية فانضم الرصافى الي هذه الحركة ليساهم فى اصلاح الامور واطلاق الحريات الاساسية فى المجتمع ، وذلک فى اطار الخلافة العثمانية, وتنجح الحركة الدستورية فى اعلان الدستور عام ١٩٠٨، ويستبشر العرب،ومن بينهم الشاعر،لكن الامر لم يدم طويلا، حتي اصيب الجميع بخيبة أمل مريرة، إذ أخذت الحكومة الجديدة التى تسترت وراءها الحركة الماسونية والصهيونية العالمية وبعض القوي الكبري باتباع سياسة عنصرية اساسها تتريک جميع الشعوب التابعة للدولة العثمانية، وترحِم الناس علي عهد عبد الحميد، والرصافى الشاعر الذى ناضل وجاهد جنباً الي جنب مع رجال الاتحاد والترقى،

www.SID.ir

Archive of SID

فقد ملَّ مماطلة الاتراك بتحسين الاوضاع العربية والعراق خاصة، فأخذ يشكو ويتألم لما حل بالاوضاع نكسات[١٠]، ويقول فى قصيدة ((شكوي الي الدستور)):

شكاية قبل بالأسي نابض العرقِ — الي قائم الدستور والعدلِ والحـــــق
ملوكٌ علـــــي كـــــلّ ثـــلاثةٌ — لها الحكم دون الناس فى الفتق والرتقِ
فهل أيها الدستور تسمعَ شاكياً — بكٌّ اليومٌ يرجو أن يري نهضة الشرق[١١]

وتشتعل نيران الحرب العالمية الاولي عام ١٩١٤, وتزحف جيوش الحلفاء لتقسيم ممتلكات ((الرجل المريض))،ويكون العراق من حصة بريطانيا العظمي,وتدخل القوات البريطانية بغداد، فيقف الرصافى من هذه الاوضاع موقف المعارض والمستنكر للأحتلال، وينادى العرب بقصيدة ((الوطن والجهاد)) فيقول:

يا قوم إنِ العدا قد هاجـــموا الوطنا — فانضوا الصوارم واحموا الاهل والسكنا
واستنفروا لعدوٌ الله كـــــل فتـيْ — مِن نأي فى اقاصي ارضـــــكم ودنا
واستنكفوا فى الوغي أن تلبسوا أبدا — عار الهزيمة حتي تلـــــــبسوا الكفنا
ان لم تموتوا كراماً فى مواطنكـــم — مَتَم أذلاء فيـــــها ميتة الجبنـــــا
لاعـــذر للمسلمين اليوم إنْ وهنوا — فى هوشة ذلَّ فيها كلٌ مـــــن وهنا[١٢]

وبعد سنوات ثار الشعب العراقى ضد الاحتلال وقامت ثورة العشرين عام ١٩٢٠ مما اضطر المحتلون الي تشكيل حكومة وطنية صورية. ولم يخف علي الشاعر المحنك أن هذه الحكومة لم تكن سوي واجهة كاذبة للوطنية تذرع بها المستعمر المحتل لأخفاء مطامعه و مطامحه، فعبر عن رأيه فى قصيدة يقول فيها:

هذي حكـــومتنا وكلٌ شموخها — كذبٌ وكـــــلُ صنيعها متكلفَ
غُشَّتْ مظاهرهـــــا ومَوّه وجهها — فجميعَ ما فيـــــها بها رجَ زيفَ
وجهان فيـــــه باطـــــن متسترٌ — للاجنبـــــــى وظاهرٌ متكشفَ

www.SID.ir

Archive of SID

والباطنَ المستور فيـــه تحكُّمً والظاهرَ المشكـــوف فيه تصلّف
علمٌ ودستورٌ ومجـــــلسَ أمةٍ كلٌّ عن المعني الصحيح محرف
اسماءُ ليس لنا سوي الفاظهـــا أما معانيها فليست تعـــــرفَ
مَّنَ يقرأ الدستور يعلـــــم أنهَ وفقاً لصك الانتـــداب مَصنَّف
من ينظر العلمِ المرفرف يُّلـــَقهَ فـــــى غير بني البلاد يرفرفَ
من يأت مجلسنا يصـــــدق أنَّه لمراد غيـــــر النا خبين مؤلف
من يأت مطّردٌ الوزارةِ يَلفـــها بقيود أهـــل الاستشارةِ ترسفَ
بالله ياوزراءَنا ما بـــــــالكم إنْ نحـــن جادلناكُمَ لم تنصفوا
وكأنِ واحدكم لفرط غـــروره ثملٌ تميلُ بـــجانبيه القرقفَ
أفتقنعون من الحكومةِ باسمـــها ويفوتكم فى الأمـــر أن تصرفوا
هذى كراسيٌ الوزارةِ تحتكـــم كادت لفرط حيائهـــا تتقصفَ
أنتم عليها والاجانب فوقكـــم كـــــلٌ بسلطتهِ عليكمَ مشرفَ
أيعدّ فخراً للوزير جلوســـــُه فرحاً علي الكرسى وهو مكتّفَ
الشعب فى جزع فلا تستبعـدوا يوماً تثور بها الجيوش وتزحف[١٣]

وهكذا نلاحظ أن الرصافى الشاعر الثائر والملتزم فى هذه القصيدة وكأنه يسرد مقالاً سياسياً ينقد فيه نظام الحكم، ويبين من خلاله تبعية الحكام والوزراء للأسياد، وينتهى بتهديدهم بأن للظلم من نهاية، وأن الشعب المظلوم لابد أن يثور فينتقم من ظالميه وغاصبى حقوقه. لقد تميز الشاعر بشجاعته الادبية، وصراحته التى جرت له الويلات و المصائب، فعاش اخريات حياته فى فقر مدقع، ومات فى غرفة – كما يقول الجواهرى الذى زاره قبيل وفاته- جرداء ، نعم ((فى تلك

www.SID.ir

Archive of SID

الغرفة الجرداء التى لاانساها ابدا، وكأنما انا فيها الان وكان الرصافى- وهو ذاك امامى ،علي سرير من السرر الرخصية لولا أن الرصافى هو الذى كان ينام عليه ، وكأن هو الآن وقد أحس بى وأنا أدَبَّ علي اطراف اصابعى لئلا أوقظه, وكانت الحيرة هى فى أين أجلس ؟ اذ ليس فى الغرفة ليس كرسي او خشبة، او حتي حجر للجلوس, وكأنها هى فى هذه الساعة لاغيرها ... قد انقضي عصر الرصافى فى هذه الغرفة الجرداء، ولم يسدل عليه ستار، فأنا احلف صادقاً ، وكان الجو مشمساً, والضوء يؤذى عيون الرصافى, كان علي درجة من الحرارة لايطيقها مريضٌ مثقل، أحلف صادقاً أنه لم يكن فى غرفة صاحب هذا الجيل أىَّ ستار))[١٤]

الالتزام الاجتماعى الانسانى:

كانت الاوضاع الاجتماعية فى العراق زمن الرصافى سيئة للغاية، وكان لسوء الادارة دور بارز فى تردى تلك الاوضاع،سواء فى العهد العثمانى عندما كان العراق ولاية عثمانية تباع وتشتري فى الاستانه أو فى عهد الاحتلال البريطانى وقيام الحكم الملكى، فقد كان الجهل يخيِّمَ علي السواد الاعظم من ابناء الشعب ، والمرض منتشراً ، يحصد الناس حصداً ، والفقر والفاقة فقد تفشت وشملت اكثر قطاعات المجتمع ، والنظام الاقطاعى قد تسلط علي رقاب اكبر طبقة اجتماعية هى طبقة الفلاحين والمزارعين، الي جانب الاعراف الاجتماعية الخاطئة الي زادت الطين بلة والشعب بؤساً وشقاءً.

والرصافى الشاعر الذى عرف برقة احاسيسه، وعلو انسانيته، وكبر رأفته وعطوفته، لم يألف السكوت ازاء كل هذه المظالم والفجائع، ولم يقف مكتوف الايدى أمام كل ذلك الجور والتعسف، فكانت له مواقف انسانية نبيلة، فَعَّن اهمية

www.SID.ir

Archive of SID

الايدى العاملة، ودورها البناء خلق الثروة والأنتاج : وما لحق هذه الشريحة الاجتماعية من ظلم واجحاف يقول فى قصيدة ((الي العمال)):

كل ما فى البلاد من امـــوال ليس الانتيجـــة الأعمال
ان يطب فى حياتنا الاجتماعية عيش فالفضل للعـــمال
واذا كان فى البلاد ثـــراءٌ فبفضل الانتاج والابـــدال
نحن خلق المقدرات وفيـها لاحياة للعاطل المـــكسال
عندنا اليوم فى الحيـــاة نظامٌ قد حوي كل باطل ومـحال
حيث يسعي الفقيرَ سَعْيٌ أجيرٍ لغنى مستأثر بـــالغـــلال
اكثر الناس يكدحـــون لقومٍ قعدوا فى قصورهم والعلالي
واحد فى النعيم يلهـو وألفٌ فى شـقاء وبؤس واعتـلال
فـإلي كم نشقي وحتّامٌ نـبقي هكذا فى عمايةٍ وضـلال [١٥]

ولم ينس الرصافى طبقة الفلاحين الذين كانوا أشبه بالرقيق لدي السادة الاقطاعيين الذين فوضتهم السلطات الحاكمة الاسيتلاء علي كل ارض خصبة فى البلاد، فيلعن الرصافى فى رأيه بتلك الاوضاع قائلاً:

أري كل ذى فقر لدي كل ذي غني اجيراً لـه مستخدماً فى عقاره
ولـــم يعطه الا اليسير وإنّـــما علي كدّه قامتْ صروحَ يساره
ويلـــبس من تذليله العزَّ ضافياً ويـــنظره شزراً بعين احتقاره [١٦]

والرصافى آمن بالعدالة والمساواة وتكافؤ الفرص بين ابناء الشعب الواحد داعياً الي أن يكون هذا البلد وما فيه فى خدمة أبنائه. لكنه وجد أن العقبة الكئود التى تحول دون ذلک هى الاستغلال الذى فرضته القوي الحاكمة ، وجعلته حقاً تتمع

www.SID.ir

Archive of SID

به علي حساب شقاء الاخرين وحرمانهم، ويظهر موقف الرصافى من تلك الاوضاع جليّاً فى قصيدته ((آل السلطنة))، يقول الرصافى:

همَ يعدّونً بالمئاتِ ذكـــــوراً ... وإناثاً لـــــهم قصور مشاله
ولهـــم أعـــبَدٌ وأمـــــاءٌ ... ونعيم ورفـــعةٌ وجلالـــه
تركوا السعى والتكسّبً فى الدنيا ... وعاشوا علـــي الرعيةِ عالـــه
يتجلّي النعيم فيـــــهم فتبكى ... أعُيَنَ السعى من نعيمِ البطالـة
يأكلون اللُّبات من كـــــدِ قومٍ ... أعُوزَتهم سخينةٌ مـــن نخالـه
فكأنِ الأنـــــام يشقون كداً ... كى تنال النعيم تلك السلالـسة
تلك والله حالةٌ يقشعرّ الحـــقّ ... منها وتشمئزُ الـــــعداله [١٧]

ولم يكتف الرصافى بنقد السلطات الحاكمة فى بغداد والآستانة ومهاجمتهم، بل أنه اهتم ايضاً بالدعوة الي التعلّم ونشر المعرفة بين ا بناء الشعب، قدحفل ديوانه بالقصائد الطوال التى تدعو الي نشر العلم ومحو الاميةِ, واضعاً العلم فوق كل اعتبار ، فهو النبض الحيّ الذى يدفع بالامة نحو القدم والرقى والحياة الكريمة، من هذه القصائد : قصيدة ((فى المهد العلمى)) و ((فى المدرسة))، و((المدارس ونهجها))، و((الاجازة فى العلم)) ((الحمد للمعلم)) و((الي المتعلم)) ، ((ودار تربية الطفل)) وغيرها كثير، يدلُّ علي مدي اهتمام هذا الشاعر، العالم والأديب بقضايا العلم والتعليم، ففى قصيدة ((المدارس ونهجها)) يقول الرصافى:

إبنوا المدارس واستقصوا بها الأمـلا ... حتي نطاولَ فى بنيانها زُحَّـــلا
جودوا عليها بما درتْ مكاسبـــكم ... وقابلوا باحتقارٍ كلَّ من بـــــخلا
إن كان للجهل فى احوالنا علـــــلٌ ... فالعلم كالطب يشفى تلكُمَ العللا
سيروا الي العلم فيها كل غايتكـــم ... بل علّموا النشأ علماً ينتج العملا

www.SID.ir

Archive of SID

هذي مدارسكم شروي مزارعكـــم فأنـــبتوا فى ثراها ما علا وغلا
لاتتركوا الشوک ينمو فى منابتـــها أعنى بـــذلكم الاهواء والنحلا[١٨]

ويقول فى قصيدة ((فى المعهد العلمى)):

يقولون لى استنهضْ الي العلم قَوْمنا بشعرٍ معانيـــــه تقيـــم وتعقدَ
اما علموا أن الحياة بعـــــصرنا مدارس فى كل البـــلاد تـــشيد
وما ينفع القول الذى انت قائـــل اذا لم يكن بالفعل مـــنک يـــؤيد
فيا قومنا إنِ العلوم تجـــــدِدتْ فان كنتم تهوونها فتـــــجدِدوا
وخلّوا جمودً العقل فى أمر دينكم فانَ جمود العقل للديـــن مفسد [١٩]

وهكذا نري أن الرصافى كان ملتزماً ومجدداً فى آن واحد، ملتزماً بقضايا الدين و العقيدة والشريعة السمحاء, وداعياً الي التجديد فى قضايا التعليم والحياة الاجتماعية و السياسية والاقتصادية ، وتغيير الاوضاع السيئة التى لم تكن ترتضيها المبادئ الإسلامية، ولم يقبل بها أى انسان ذو شعور وذو كرامة انسانية.

وكان الرصافى بشعوره المرهف يتحسسن آلام الفقراء والمعدمين ، فلايترک منظراً مؤثراً لمنكود الا رسمة بريشة القريحة شعراً حزيناً ، يقطر دمعاً ودماً ، ويبعث الشجا والأسي فى النفس وقصيدته ((الأرملة المرضعة)) نموذج فريد بين قصائده الاجتماعية، يقول الرصافى فى وصف تلک الارملة البائسة:

لقيتها ليتنى مـــــــا كنت ألقاها تمشي وقد أثقل الاملاق ممشاها
أثوابها رثةٌ والرجـــــــل حافيةٌ والـــدمع تذرفه فى الخد عيناها

www.SID.ir

Archive of SID

بكت من الفقر فاحمرت مدامعها ... وأصفرّ كالورسِ من جوعٍ محياها
مات الذى كان يحميها ويسعدها ... فالـــدهر من بعده بالفقر أشقاها
الموت افجعها والفقر اوجـــعها ... والـمّ انحلها والغم أضنا هـــــا
فـنظر الحزن مشهود بنظر هـــا ... سالبؤس مرآة مقرون مبرآهـــــا
كر الجديدين قد أبلي عباءتهـــا ... فانشق أسفلها وانشق اعلاهـــــا
ومزّق الدهرَ ويلُ الدهرِ مئزرهـــا ... حتي بدا من شقوق الثوب جنباها
تمشي بأطمارها والبرد يلسعهـــا ... كأنه عقرب شالت زباناهـــــا
حتي غدا جسمها بالبرد مرتجفاً ... كالغصن فى الريح واصطكت ثناياها
تمشي وتحمل باليسري وليدتهـــا ... حملاً علي الصدر مدعوماً بيمناها
قد قمطتها بأهدام ممزقـــــه ... فى العين منشرها سمج ومطواها
ما أنسٌ لا أنسٌ إنّى كنت اسمعها ... تشكو الي ربها أوصاب دنياهـــا
تقول يا ربٌ لاتتركُ بلا لَبٌـــن ... هذى الرضيعة وارحمنى واياها[٢٠]

وقصائد الرصافى الاجتماعية كثيرة، يجلو فيه الشاعر تلك الصورة الكئيبة للفقراء و البائسين الذين عاش معهم وأحس بعسرهم وشقائهم عن قرب،ولم يقف العنصر الانسانى فى شعر الرصافى عند أرامل المسلمين وايتامهم بل ذهب يشارك يتامي المسيحيين وأراملهم ماكانوا يعانونه من عذاب وٍهُّو ان نتيجةً لسوءِ الحياة الاجتماعية انذاك ، ففى قصيدة ((ام اليتيم)) التى بلغت أبياتها ستة وخمسين بيتاً ويقول فيها:

رمّتْ مسمعى ليلاً بأنةَ مؤلـــــم ... فألقت فؤادى بين أنيابِ ضيغـــم
وباتت توالى فى الظلام أنينهـــا ... وبَتٌ لها مَرمي بنهشةِ أرقـــــم

www.SID.ir

Archive of SID

فيهفو بقلبى صوتها مثلما هَفَـــت بقلبِ فقير القوم رنَّةُ درهـــم
ولقد جثمتْ فوق التراب وحولهـا صغير لها يرنو بعينى ميتِّـــم
تراه وما أن جاوز الخمسَ عمـره يدير لحاظ اليافع المتفهـــم
بكي حولها جوعاً فغذته بالبكـــا وليس البكا إلا تعلّه معـــدم
واكبر ما يدعو القلوب الي الأســي بكاءُ يتيم جائعٍ حول أيـــم
وقفت وقد شاهدت ذلک منهمـــا لمريمَ أبكى رحمةً وابن مريم [٢١]

مثلما تجاوز الرصافى بمشاعره الانسانية قطرة بل بلاده العربية الإسلامية، فهو يهتمّ بقضايا عالمية مثل الحرب التى شنت علي سنغافورة واليابان ففى قصيدة ((يوم سنغافورة)) يهاجم الرصافى المعتمدين الذين شنوا حرباً شعواء علي هذا البلد وما جاوره من جزر وبلاد يقول:

أطالوا الحرب طاحنةً زبونـــا فَعدِوا بالشهور لها السنينـــا
وقد زحفتْ لَهَمٌ فيها جيـــوش تجاوزت الالوف مع المئينـــا
لقد خربوا البلاد ودوخوهـــا وجنُّوا فى تناحرهم جنونـــا
ولم ترد الشعوب لـها اتقـــادا فَأوقَدَّ نارَها المترئسونـــا
أولاک هَمَ الجناة بها علينـــا أولاک هم البغاة الطامعونـــا
اذا ذكر الوري جشعاً وحرصـــا فشرشل اكبر المتجشعينـــا

وما رزفلت فيها غير جـــان يزَورفى اطالتها الميونـــا
أعانَّ علي الهجاج وقال حيـــدي حياداً فأعَّجبَّ المتكذبينـــا

www.SID.ir

Archive of SID

بسنغافورة اليابان شَبَّـــــــــوا علي أعدائهم حرباً طحونـــــا
وبحر الهند أصبح فى اضطـــراب يَرجُّمَ فى عواقبه الظنونـــــا
أيفتح بابه يكون حـــــــــرا لمن يزجي بلجُته السفينـــــا
ويَمسى الهند عندئذ طليقـــــا من الأثر الذى قطع الوتينـــــا
فبشري للبلاد إذن وبَشـــــــري لمصرٌ وللعراق بما هوينـــــا
فسوف تكفـّ عنهن الليالـــــــي مطامع ساسةٍ متحكمينـــــا [٢٢]

وهكذا فقد التزم الشاعر بقضايا شعبه الدينية والسياسية والاجتماعية، وكان انسانياً فى فكره وشعوره وقد اتسع قلبه الرؤوف ليشمل العرب وغير العرب، المسلمين والميسيحيين، العراق وبلاد العرب ، وماوراء ذلک ، وكان صادقاً فى احاسيسه وعواطفه ، صادقاً مع أبناء جلدته ، صادقاً مع أبناء بلده ومع الانسانية جمعاء.

www.SID.ir

Archive of SID

الهوامش

١- الزركلى،خير الدين ، الاعلام،ج ٨، بيروت ط ١، لبنان ، ١٩٢٤ ص ١٨٤.

٢- وزارة الاعلام ، الدليل العراقى لعام ١٩٦٠ ـ بغـداد ، ص ٥٥٤، والفاخوري – حنا، الجامع فى تاريخ الادب العربى/ ط ١ / دار الجيل ، بيروت ١٩٨٦ ص ٤٨٦

٣- الزركلى ، خير الدين ، الاعلام ، ج ٨ ، بيروت ،ط ١ ، لبنان ، ١٩٢٤، ص ١٨٥.

٤- الدسوقى ، عمر، فى الادب الحديث، ج ٢ ط ٧ ، دار الكتاب العربى، لبنـان ، ١٩٦٦ ، ص ٢٤٨.

٥- نقلنا اسماء الكتب المطبوعة عن الدليـل العراقـى، وزارة الاعـلام، بغـداد،عـام ١٩٦٠ والكتب المخطوطة عن كتاب مقالات عـن الجواهـرى وآخريـن، للدكتـور داود سـلوم، الهيئة المصرية للنشر، القاهرة ،ط ١، ١٩٧٣، ص ١١٨.

٦- الرصافى، معروف عبد الغنى ، الديوان (المجموعة الكاملة) ، مكتبة الحياة، بيروت ١٩٥٧، ص ١٢٨.

٧- المصدر السابق، ص ١٧٦.

٨- المصدر السـابق، ص ١٠٣.

٩- الوائلى، ابراهيم ، الشعر السياسـى العراقـى، مطبعـة النهضـة ط ٢، بغـداد ١٩٧٠، ص ٢٩٩.

١٠- الرصافى، الديوان ، ص ١١٦

١١- لجنة من اساتذة جامعة بغداد،التاريخ الحديث، مطبعة وزارة المعارف، بغداد، ١٩٦٠، ص ١١٣.

١٢- الرصافى، الديوان ، ص ٣٩٧.

١٣- الرصافى، الديوان ، ص ٤٨٩.

١٤- الرصافى، الديوان، ص ٤٦١.

١٥- سلوم، داود، مقالات عن الجواهرى وآخرين الهيئة المصرية للنشر ، القاهرة ، ط ١، ١٩٧٣، ص ٨٩.

١٦- الرصافى، الديوان ، ص ١٧٨.

١٧- الرصافى، الديوان ، ص ٣٧.

www.SID.ir

Archive of SID

۱۸- الرصافی، الدیوان ، ص ٤٠٨.
۱۹- الرصافی، الدیوان، ص ۸۷
۲۰- الرصافی، الدیوان، ص ۷٤.
۲۱- الرصافی، الدیوان ص ۲۰٦
۲۲- ضیف ، شوقی، دراسات فی الشعر العربی، طبعة القاهرة، مصر، ص ۵۸.
۲۳- الرصافی الدیوان، ص ٤۷۱.

المصادر والمراجع :

۱- الدسوقی،عمر، فی الادب الحدیث،ج۲ ، ط۷، دار الکتاب العربی، لبنان، ۱۹٦٦.
۲- الرصافی، معروف عبد الغنی ، الدیوان (المجموعة الکاملة) ، مکتبة الحیاة،بیروت ، ۱۹۵۷.
۳- الزرکلی، خیرالدین، الاعلام، ج ۸، بیروت، ط ۱،لبنان ۱۹۲٤.
٤- سلوم، داود ، مقالات عن الجواهري وآخرین ، الهیئة المصریة للنشر،القاهرة، ط۱ ،۱۹۷۳.
۵- ضیف، شوق، دراسات فی الشعر العربی ، دار المعارف، مصر،۱۹۵۹.
٦- فاخوری، حنا، الجامع فی تاریخ الادب العربی، ط۱، دار الجیل ، بیروت، ۱۹۸٦.
۷- لجنة من اساتذة جامعة بغداد ، التاریخ الحدیث، مطبعة المعارف، بغداد، ، ۱۹٦۰.
۸- الوائلی، ابراهیم ، الشعر السیاسی العراقی، مطبعة النهضة ، بغداد ، ط۲، ۱۹۷۰.
۹- وزارة الاعلام ، الدلیل العراقی ، بغداد ،۱۹٦۰.

www.SID.ir